

أضواء البيان

@ 359 @ برحاء شديدة وكان يحمر وجهه كأنه مذهبة ، وكان إذا نزل عليه صلى الله عليه وسلم وهو في سفره على راحلته بركت به الناقة ، وجاء عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان واضعاً رأسه على فخذه ، فأتاه الوحي قال أنس : فكان فخذني تكاد تنفصل مني ، ومن جانب تكاليفه فقد ثقلت على السماوات والأرض والجبال وأشفقن منها كما هو معلوم ومن جانب ثوابه فقد جاء في حديث مسلم . (الحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله ، والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماء والأرض) . .
وحديث البطاقة وكل ذلك يشهد بعضه لبعض ولا ينافيه . .

وقد بين تعالى أن هذا الثقل قد يخففه الله على المؤمنين ، كما في الصلاة في قوله : { وَإِنَّ رَبَّهُمَّا لِلَّكَبِيرَةِ ۗ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّ رَبَّهُم مُّسْتَلْفُوفُونَ ۖ رَبُّهُمْ ۗ } ، وكذلك القرآن ثقل على الكفار خفيف على المؤمنين محبب إليهم .

وقد جاء في الآثار أن بعض السلف كان يقوم الليل كله بسورة من سور القرآن تلذذاً وارتياحاً ، كما قال تعالى : { وَلَلْقَادِرُ يَسَّرَ رِزْقًا لِّلْقُرْءَانِ لِّلذَّكَرِ ۗ } فهو ثقل في وزنه ثقل في تكاليفه ، ولكن يخففه الله وييسره لمن هداه ووفقه إليه . .
7 ! 7 ! قوله تعالى : { إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَاقُومٌ قِيلاً } . أي ما تنشأه من قيام الليل أشد مواطأة للقلب وأقوم قِيلاً في التلاوة والتدبير والتأمل ، وبالتالي بالتأثر ، ففيه إرشاد إلى ما يقابل هذا الثقل فيما سيلقى عليه من القول ، فهو بمثابة التوجيه إلى ما يتزود به لتحمل ثقل أعباء الدعوة والرسالة . .
وقد سمعت من الشيخ رحمة الله تعالى علينا وعليه قوله : لا يثبت القرآن في الصدر ولا يسهل حفظه وييسر فهمه إلا القيام به من جوف الليل ، وقد كان رحمه الله تعالى لا يترك ورده من الليل صيفاً أو شتاء ، وقد أفاد هذا المعنى قوله تعالى : { وَاسْتَعِينُوا ۖ بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ } فكان صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة . .
وهكذا هنا فإن ناشئة الليل كانت عوناً له صلى الله عليه وسلم على ما سيلقى عليه من ثقل القول . .

مسألة .

قيل : إن قيام الليل كان فرضاً عليه صلى الله عليه وسلم قبل أن تفرض الصلوات الخمس

لقوله

